المنتقى من كتاب
(أخلاق العلماء)
للإمام محمد بن الحسين
الآجُرِّي (ت: ٣٦٠)

أخلاق العلماء

للإمام المحدِّث أبي بكر محمد بن الحسين الآجري
المتوفى سنة ٣٦٠ هـ

طُبع لأول مرة
على أربع نُسَخٍ خطية

حققه على أربع نسخ خطية وعلق عليه

أبو الحسن علي بن أحمد الرازحي

دار أجيال التوحيد

الردمك الدولي : 3-501-938-448

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

دار أجيال التوحيد

فروع مكتبة دار أجيال التوحيد

فرع جدة: شارع باخشب - خلف البنك الأهلي
0126333653
0550361599
0536585651

فرع مكة: العزيزية - قدام بوابة جامعة أم القرى
0559520431
0538921006

[قال محمد بن الحسين: فَمَا ظَنُّكُمْ -رَحِمَكُمُ اللهُ- بِطَرِيقٍ فِيهِ آفَاتٌ كَثِيرَةٌ، وَيَحْتَاجُ النَّاسُ إِلَىٰ سُلُوكِهِ فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ ضِيَاء وَإِلَّا تحيَّرُوا، فَقَيَّضَ اللهُ لَهُمْ فِيهِ مَصَابِيحَ تُضِيءُ لَهُمْ، فَسَلَكُوهُ عَلَىٰ السَّلَامَةِ وَالْعَافِيَةِ، ثُمَّ جَاءَتْ طَبَقَاتٌ مِنَ النَّاسِ لَابُدَّ لَهُمْ مِنَ السُّلُوكِ فِيهِ، فَسَلَكُوا، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ، إِذْ طُفِئَتِ الْمَصَابِيحُ فَبَقُوا فِي الظُّلْمَةِ، فَمَا ظَنُّكُمْ بِهِمْ؟

هَكَذَا الْعُلَمَاءُ فِي النَّاسِ، لَا يَعْلَمُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ [كَيْفَ][1] أَدَاءُ الْفَرَائِضِ، وَلا كَيْفَ اجْتِنَابُ الْمَحَارِمِ، وَلَا كَيْفَ يُعْبَدُ اللهُ فِي جَمِيعِ مَا يَعْبُدُهُ بِهِ خَلْقُهُ إِلَّا بِبَقَاءِ الْعُلَمَاءِ، فَإِذَا مَاتَ الْعُلَمَاءُ تَحَيَّرَ النَّاسُ، وَدَرَسَ الْعِلْمُ بِمَوْتِهِمْ، وَظَهَرَ الْجَهْلُ، فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، مُصِيبَةٌ مَا أَعْظَمَهَا عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ.

قال محمد بن الحسين: قَدِ اخْتَصَرْتُ مِنْ فَضْلِ الْعُلَمَاءِ، وَمَا خَصَّهُمُ اللهُ ﷻ بِهِ عَلَىٰ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا فِيهِ بَلَاغٌ لِمَنْ تَدَبَّرَهُ، فَأَلْزَمَ نَفْسَهُ الطَّلَبَ لِلْعِلْمِ لِيَكُونَ مَعَهُمْ، وَذَلِكَ بِتَوْفِيقِ اللهِ ﷻ.

فإن قال قائل: مَنْ عَلَّمَ الْعِلْمَ وَحَفِظَهُ وَنَاظَرَ فِيهِ، يَدْخُلُ فِي هَذَا الْفَضْلِ الَّذِي ذَكَرْتَ؟

قيل له: أَرْجُو أَنْ لَا يُخْلِيَ اللهُ كُلَّ مُسْلِمٍ طَلَبَ الْخَيْرَ وَالْعِلْمَ مِنْ خَيْرِهِ الَّذِي وَعَدَ بِهِ الْعُلَمَاءَ، [وَلَكِنْ قَدْ ذُكِرَتْ لَهُمْ أَوْصَافٌ وَأَخْلَاقٌ](١)، فَنَحْنُ نَذْكُرُهَا، فَمَنْ تَدَبَّرَهَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ رَجَعَ إِلَىٰ نَفْسِهِ، فَإِنْ كَانَ مِنْهُمْ شَكَرَ اللهَ ﷻ عَلَىٰ مَا خَصَّهُ بِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ أَوْصَافُهُ مِنْهُمْ، وَكَانَ مِمَّنْ عِلْمُهُ حُجَّةٌ عَلَيْهِ، اسْتَغْفَرَ اللهَ ﷻ، وَرَجَعَ إِلَىٰ الْحَقِّ مِنْ قَرِيبٍ، وَاللهُ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ.

٢٣- [ثَنَا أَبُو أَحْمَدَ هَارُونُ بْنُ يُوسُفَ، ثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ، ثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ رضي الله عنه يَقُولُ: «هَلْ تَدْرُونَ كَيْفَ يَنْقُصُ الْإِسْلَامُ؟ قَالُوا: كَيْفَ؟ قَالَ: «كَمَا يَنْقُصُ الدَّابَّةَ سِمَنُهَا، وَكَمَا يَنْقُصُ الثَّوْبُ عَنْ طُولِ اللُّبْسِ، وَكَمَا يَنْقُصُ الدِّرْهَمُ عَنْ طُولِ الخَبْوِ[١]، وَقَدْ يَكُونُ فِي الْقَبِيلَةِ عَالِمَانِ فَيَمُوتُ أَحَدُهُما، فَيَذْهَبُ نِصْفُ عِلْمِهِمْ، وَيَمُوتُ الْآخَرُ فَيَذْهَبُ عِلْمُهُمْ كُلُّهُ[٢]»[٣]][٤].

٣٧- ثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ، ثَنَا زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ، ثَنَا [هُشَيْمٌ](١)، ثَنَا سَيَّارٌ، عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: «إِنَّ مُعَاذًا كَانَ أُمَّةً قَانِتا»، قيل له: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتا، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: إِنَّا كُنَّا نُشَبِّهُ مُعَاذًا بِإِبْرَاهِيمَ، قَالَ: قيل له: فَمَا الْقَانِتُ؟ قَالَ: «الْمُطِيعُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ»(٢).



باب: أوصاف العلماء الذين نفعهم الله بالعلم في الدنيا والآخرة

قال محمد بن الحسين: لِهَذَا الْعَالِمِ صِفَاتٌ وَأَحْوَالٌ شَتَّىٰ، وَمَقَامَاتٌ لَابُدَّ لَهُ مِنِ اسْتِعْمَالِهَا، فَهُوَ مُسْتَعْمِلٌ فِي كُلِّ حَالٍ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ.

- [فَلَهُ صِفَةٌ فِي طَلَبِهِ لِلْعِلْمِ: كَيْفَ يَطْلُبُهُ؟
- وَلَهُ صِفَةٌ فِي كَثْرَةِ الْعِلْمِ إِذَا كَثُرَ عِنْدَهُ: مَا الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ] فِيهِ فَيُلْزِمُهُ نَفْسَهُ.
- وَلَهُ صِفَةٌ إِذَا جَالَسَ الْعُلَمَاءَ: كَيْفَ يُجَالِسُهُمْ.
- وَلَهُ صِفَةٌ إِذَا تَعَلَّمَ مِنَ الْعُلَمَاءِ: كَيْفَ يَتَعَلَّمُ؟!
- [وَلَهُ صِفَةٌ كَيْفَ يُعَلِّمُ غَيْرَهُ](١).
- وَلَهُ صِفَةٌ إِذَا نَاظَرَ فِي الْعِلْمِ: كَيْفَ يُنَاظِرُ؟
- وَلَهُ صِفَةٌ إِذَا أَفْتَىٰ النَّاسَ: كَيْفَ يُفْتِي؟
- وَلَهُ صِفَةٌ كَيْفَ يُجَالِسُ الْأُمَرَاءَ إِذَا ابْتُلِيَ بِمُجَالَسَتِهِمْ، وَمَنْ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُجَالِسَهُ، وَمَنْ لَا يَسْتَحِقُّ؟
- وَلَهُ صِفَةٌ عِنْدَ مُعَاشَرَتِهِ لِسَائِرِ النَّاسِ مِمَّنْ لَا عِلْمَ مَعَهُ.
- وَلَهُ صِفَةٌ: كَيْفَ يَعْبُدُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ.

قَدْ أَعَدَّ لِكُلِّ حَقٍّ يَلْزَمُهُ مَا يُقَوِّيهِ عَلَىٰ الْقِيَامِ بِهِ.

وَقَدْ أَعَدَّ لِكُلِّ نَازِلَةٍ مَا يَسْلَمُ بِهِ مِنْ شَرِّهَا فِي دِينِهِ، عَالِمٌ بِمَا يَجْتَلِبُ بِهِ الطَّاعَاتِ، عَالِمٌ بِمَا يَدْفَعُ بِهِ الْبَلِيَّاتِ، قَدِ اعْتَقَدَ الْأَخْلَاقَ السَّنِيَّةَ، وَاعْتَزَلَ الْأَخْلَاقَ الدَّنِيَّةَ.

ذِكْرُ صِفَتِهِ لِطَلَبِ[١] الْعِلْمِ[٢]

فَمِنْ صِفَتِهِ لِإِرَادَتِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ:

أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ عَلَيْهِ عِبَادَتَهُ، وَالْعِبَادَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا بِعِلْمٍ.

وَعَلِمَ أَنَّ الْعِلْمَ فَرِيضَةٌ عَلَيْهِ[٣].

وَعَلِمَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يَحْسُنُ بِهِ الْجَهْلُ، فَطَلَبَ الْعِلْمَ لِيَنْفِيَ عَنْ نَفْسِهِ الْجَهْلَ، وَلِيَعْبُدَ اللهَ ﷻ كَمَا أَمَرَهُ، لَيْسَ كَمَا تَهْوَىٰ نَفْسُهُ، فَكَانَ هَذَا مُرَادَهُ فِي السَّعْيِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ.

مُعْتَقِدًا لِلْإِخْلَاصِ فِي سَعْيِهِ.

لَا يَرَىٰ لِنَفْسِهِ الْفَضْلَ فِي سَعْيِهِ، بَلْ يَرَىٰ لِلَّهِ ﷻ الْفَضْلَ عَلَيْهِ، إِذْ وَفَّقَهُ لِطَلَبِ عِلْمِ مَا يَعْبُدُهُ بِهِ مِنْ أَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ.

ذكر صفته في مشيه إلى العلماء:

يَمْشِي بِرِفْقٍ وَحِلْمٍ، وَوَقَارٍ، وَأَدَبٍ، مُكْتَسِبٌ فِي مَشْيِهِ[١] كُلَّ خَيْرٍ:

- تَارَةً يُحِبُّ الْوَحْدَةَ، فَيَكُونُ لِلْقُرْآنِ تَالِيًا.
- وَتَارَةً بِالذِّكْرِ مَشْغُولًا.
- وَتَارَةً يُحَدِّثُ نَفْسَهُ بِنِعَمِ اللهِ ﷻ عَلَيْهِ، وَيَقْتَضِي مِنْهَا الشُّكْرَ.

يَسْتَعِيذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ سَمْعِهِ، وَبَصَرِهِ، وَلِسَانِهِ، وَنَفْسِهِ، وَشَيْطَانِهِ.

- فَإِنْ بُلِيَ بِمُصَاحَبَةِ النَّاسِ فِي طَرِيقِهِ، لَمْ يُصَاحِبْ إِلَّا مَنْ يَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ، قَدْ أَقَامَ الْأَصْحَابَ مَقَامَ ثَلَاثَةٍ:

- إِمَّا رَجُلٌ يَتَعَلَّمُ مِنْهُ خَيْرًا، إِنْ كَانَ أَعْلَمَ مِنْهُ.
- أَوْ رَجُلٌ هُوَ مِثْلُهُ فِي الْعِلْمِ، فَيُذَاكِرُهُ الْعِلْمَ لِئَلَّا يَنْسَىٰ مَا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَنْسَاهُ.
- أَوْ رَجُلٌ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ فَيُعَلِّمُهُ، يُرِيدُ اللهَ ﷻ بِتَعْلِيمِهِ إِيَّاهُ[٢].

- لَا يَمَلُّ مِنْ أَصْحَابِهِ(١) لِكَثْرَةِ صحبه، بَلْ يُحِبُّ ذَلِكَ لِمَا يَعُودُ عَلَيْهِ مِنْ بَرَكَتِهِ، قَدْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِهَذِهِ الْخِصَالِ، خَائِفٌ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَنْ يَشْتَغِلَ بِغَيْرِ الْحَقِّ، قَدْ أَجْمَعَ الْحَذَرَ مِنْ عَدُوِّهِ الشَّيْطَانِ، كَرَاهِيَةَ أَنْ يُزَيِّنَ لَهُ قَبِيحَ مَا نُهِيَ عَنْهُ.

- يُكْثِرُ الِاسْتِعَاذَةَ بِاللهِ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَيَسْأَلُهُ عِلْمًا نَافِعًا.

- هَمُّهُ فِي تِلَاوَةِ كَلَامِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ: الْفَهْمُ عَنِ اللهِ [فِيمَا أَمَرَ وَنَهَىٰ](٢).

- وَفِي حِفْظِ السُّنَنِ وَالْآثَارِ(٣) والْفِقْهُ، لِئَلَّا يُضَيِّعَ مَا أُمِرَ بِهِ، وَلِأَنْ يَتَأَدَّبَ(٤) بِالْعِلْمِ.

- طَوِيلُ السُّكُوتِ عَمَّا لَا يَعْنِيهِ، حَتَّىٰ يَشْتَاقَ جَلِيسُهُ إِلَىٰ حَدِيثِهِ.

- إِنِ ازْدَادَ عِلْمًا خَافَ مِنْ ثَبَاتِ الْحُجَّةِ، فَهُوَ مُشْفِقٌ فِي عِلْمِهِ، كُلَّمَا ازْدَادَ عِلْمًا ازْدَادَ إِشْفَاقًا.

- إِنْ فَاتَهُ سَمَاعُ عِلْمٍ قَدْ سَمِعَهُ غَيْرُهُ فَحَزِنَ(٥) عَلَىٰ فَوْتِهِ، لَمْ يَكُنْ حُزْنُهُ بِغَفْلَةٍ حَتَّىٰ يُوَاقِفَ نَفْسَهُ، وَيُحَاسِبَهَا عَلَىٰ الْحُزْنِ، فَيَقُولُ: لِمَ حَزِنْتِ؟

احْذَرِي يَا نَفْسُ أَنْ يَكُونَ الْحُزْنُ عَلَيْكِ لَا لَكِ، إِذْ سَمِعَهُ غَيْرُكِ، وَلَمْ تَسْمَعِيهِ أَنْتِ، فَكَانَ أَوْلَىٰ بِكِ[١] أَنْ تَحْزَنِي عَلَىٰ عِلْمٍ قَدْ قَرَعَ السَّمْعَ، وَقَدْ ثَبَتَتْ عَلَيْكِ بِهِ الْحُجَّةُ فَلَمْ تَعْمَلِي بِهِ، فَكَانَ حُزْنُكِ عَلَىٰ ذَلِكَ أَوْلَىٰ مِنْ حُزْنِكِ عَلَىٰ عِلْمٍ لَمْ تَسْمَعِيهِ، وَلَعَلَّكِ لَوْ قُدِّرَ لَكِ سَمَاعُهُ كَانَتِ الْحُجَّةُ عَلَيْكِ أَوْكَدَ، فَاسْتَغْفَرَ اللهَ مِنْ حُزْنِهِ، وَسَأَلَ مَوْلَاهُ الْكَرِيمَ أَنْ يَنْفَعَهُ بِمَا قَدْ سَمِعَ[٢].

[صِفَةُ مُجَالَسَتِهِ لِلْعُلَمَاءِ][٣]:

فَإِذَا أَحَبَّ مُجَالَسَةَ الْعُلَمَاءِ:

- جَالَسَهُمْ بِأَدَبٍ، وَتَوَاضَعَ فِي نَفْسِهِ، وَخَفَضَ صَوْتَهُ عِنْدَ صَوْتِهِمْ.
- وسألهم بِخُضُوعٍ، وَيَكُونُ أَكْثَرُ سُؤَالِهِ عَنْ عِلْمِ مَا تَعَبَّدَهُ اللهُ بِهِ.
- وَيُخْبِرُهُمْ أَنَّهُ فَقِيرٌ إِلَىٰ عِلْمِ مَا يَسْأَلُ عَنْهُ.
- فَإِذَا اسْتَفَادَ مِنْهُمْ عِلْمًا أَعْلَمَهُمْ: أَنِّي قَدْ أُفِدْتُ خيرًا كَثِيرًا، ثُمَّ شَكَرَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ.
- وَإِنْ غَضِبُوا عَلَيْهِ لَمْ يَغْضَبْ عَلَيْهِمْ، وَنَظَرَ إِلَىٰ السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ غَضِبُوا عَلَيْهِ، فَرَجَعَ عَنْهُ، وَاعْتَذَرَ إِلَيْهِمْ.

لَا يُضْجِرُهُمْ فِي السُّؤَالِ، رَفِيقٌ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، لَا يُنَاظِرُهُمْ مُنَاظَرَةَ من يُرِيهِمْ: أَنِّي أَعْلَمُ مِنْكُمْ، وَإِنَّمَا هِمَّتُهُ الْبَحْثُ لِطَلَبِ الْفَائِدَةِ مِنْهُمْ، مَعَ حُسْنِ التَّلَطُّفِ لَهُمْ.

لَا يُجَادِلُ الْعُلَمَاءَ، وَلَا يُمَارِي السُّفَهَاءَ، يُحْسِنُ التَّأَتِّي لِلْعُلَمَاءِ مَعَ تَوْقِيرِهِ لَهُمْ، حَتَّىٰ يَتَعَلَّمَ مَا يَزْدَادُ بِهِ عَنِ اللهِ[١] فَهمًا فِي دِينِهِ[٢].

صِفَتُهُ إِذَا عُرِفَ بِالْعِلْمِ:

فَإِذَا نَشَرَ اللهُ[٣] لَهُ الذِّكْرَ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَاحْتَاجَ النَّاسُ إِلَىٰ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ، أَلْزَمَ نَفْسَهُ التَّوَاضُعَ لِلْعَالِمِ وَغَيْرِ[٤] الْعَالِمِ[٥].

- **فَأَمَّا تَوَاضُعُهُ لِمَنْ هُوَ مِثْلُهُ فِي الْعِلْمِ:** فَإِنَّهَا مَحَبَّةٌ [تَنْبُتُ][١] لَهُ فِي قُلُوبِهِمْ، وَأَحَبُّوا قُرْبَهُ، وَإِذَا غَابَ عَنْهُمْ حَنَّتْ إِلَيْهِ قُلُوبهم.

- **وَأَمَّا تَوَاضُعُهُ لِلْعُلَمَاءِ:** فَوَاجِبٌ عَلَيْهِ، إِذْ أَرَاهُ الْعِلْمُ ذَلِكَ.
- **وَأَمَّا تَوَاضُعُهُ لِمَنْ هُوَ دُونَهُ فِي الْعِلْمِ**[٢]**:** فَشَرَفُ الْعِلْمِ لَهُ عِنْدَ اللهِ وَعِنْدَ أُولِي الْأَلْبَابِ[٣].
- **وَكَانَ مِنْ صِفَتِهِ فِي عِلْمِهِ وَصِدْقِهِ وَحُسْنِ إِرَادَتِهِ** يُرِيدُ اللهَ بِعِلْمِهِ.
- **فَمِنْ صِفَتِهِ:** أَنَّهُ لَا يَطْلُبُ بِعِلْمِهِ شَرَفَ مَنْزِلَةٍ عِنْدَ الْمُلُوكِ، وَلَا يَحْمِلُهُ إِلَيْهِمْ[٤]، صَائِنٌ لِلْعِلْمِ إِلَّا عَنْ أَهْلِهِ.

- [وَ](١) لَا يَأْخُذُ عَلَى الْعِلْمِ ثَمَنًا.
- وَلَا يَسْتَقْضِي بِهِ الْحَوَائِجَ(٢).
- وَلَا يُقَرِّبُ أَبْنَاءَ الدُّنْيَا، وَيُبَاعِدُ الْفُقَرَاءَ، بَلْ يُقَرِّبُ الْفُقَرَاءَ، وَيَتَجَافَى عَنْ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا.
- يَتَوَاضَعُ لِلْفُقَرَاءِ وَالصَّالِحِينَ لِيُفِيدَهُمُ الْعِلْمَ(٣).

=

• [وَ](١) إِنْ كَانَ لَهُ مَجْلِسٌ قَدْ عُرِفَ بِالْعِلْمِ: أَلْزَمُ نَفْسَهُ حُسْنَ الْمُدَارَاةِ لِمَنْ جَالَسَهُ، وَالرِّفْقَ بِمَنْ سَأَلَهُ، [وَاسْتِعْمَالَ الْأَخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ، وَيَتَجَافَىٰ عَنِ الْأَخْلَاقِ الدَّنِيَّةِ](٢).

• فَأَمَّا أَخْلَاقُهُ مَعَ مُجَالِسِيهِ:

• فَصَبُورٌ عَلَىٰ مَنْ كَانَ ذِهْنُهُ بَطِيئًا عَنِ الْفَهْمِ حَتَّىٰ يَفْهَمَ عَنْهُ.

• صَبُورٌ عَلَىٰ(٣) جَفَاءِ مَنْ جَهِلَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَرُدَّهُ بِحِلْمٍ.

• يُؤَدِّبُ جُلَسَاءَهُ بِأَحْسَنِ مَا يَكُونُ مِنَ الْأَدَبِ.

• لَا يَدَعُهُمْ يَخُوضُونَ فِيمَا لَا يَعْنِيهِمْ.

• [وَ](٤) يَأْمُرُهُمْ بِالْإِنْصَاتِ مَعَ الِاسْتِمَاعِ إِلَىٰ مَا يَنْطِقُ بِهِ مِنَ الْعِلْمِ.

• فَإِنْ تَخَطَّىٰ(٥) أَحَدُهُمْ إِلَىٰ خُلُقٍ لَا يَحْسُنُ بِأَهْلِ الْعِلْمِ، لَمْ يَجْبَهْهُ فِي وَجْهِهِ(٦) عَلَىٰ جِهَةِ التَّبْكِيتِ(٧) لَهُ. وَلَكِنْ يَقُولُ: لَا يَحْسُنُ بِأَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ كَذَا وَكَذَا، وَيَنْبَغِي

لِأَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَجَافَوْا[١] [عَنْ][٢] كَذَا وَكَذَا، فَيَكُونُ الْفَاعِلُ لِخُلُقٍ لَا يَحْسُنُ، قَدْ عَلِمَ[٣] أَنَّهُ الْمُرَادُ بِهَذَا، فَيُبَادِرُ؛ برفقه به[٤].

- إِنْ سَأَلَهُ مِنْهُمْ سَائِلٌ عَمَّا لَا يَعْنِيهِ رَدَّهُ عَنْهُ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْأَلَ عَمَّا يَعْنِيهِ[٥].
- [وَ][٦] إِذَا عَلِمَ أَنَّهُمْ فُقَرَاءُ إِلَىٰ عِلْمٍ قَدْ أَغْفَلُوهُ[٧] عَنْهُ أَبْدَاهُ إِلَيْهِمْ، وَأَعْلَمَهُمْ شِدَّةَ فَقْرِهِمْ إِلَيْهِ.
- لَا يُعَنِّفُ السَّائِلَ[٨] بِالتَّوْبِيخِ الْقَبِيحِ فَيُخْجِلَهُ، وَلَا يَزْجُرُهُ فَيَضَعُ مِنْ قَدْرِهِ،

وَلَكِنْ يَبْسُطُ[١] فِي الْمَسْأَلَةِ لِيَجْبُرَهُ فِيهَا، قَدْ عَلِمَ بُغْيَتَهُ [عَمَّا يَعْنِيهِ][٢]، وَيَحُثُّهُ عَلَىٰ طَلَبِ عِلْمِ الْوَاجِبَاتِ مِنْ عِلْمِ أَدَاءِ فَرَائِضِهِ وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ.

• يُقْبِلُ عَلَىٰ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ مُحْتَاجٌ إِلَىٰ عِلْمِ مَا يَسْأَلُ عَنْهُ، وَيَتْرُكُ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يُرِيدُ الْجَدَلَ وَالْمِرَاءَ.

• يُقَرِّبُ عَلَيْهِمْ مَا يَخَافُونَ بُعْدَهُ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ.

• يَسْكُتُ عَنِ الْجَاهِلِ حِلْمًا، وَيَنْشُرُ الْحِكْمَةَ نُصْحًا.

فَهَذِهِ أَخْلَاقُهُ لِأَهْلِ مَجْلِسِهِ وَمَا شَاكَلَ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ.

• **وَأَمَّا مَا يَسْتَعْمِلُ مَعَ مَنْ يَسْأَلُهُ عَنِ الْعِلْمِ وَالْفُتْيَا:** فَإِنَّ مِنْ صِفَتِهِ: إِذَا سَأَلَهُ سَائِلٌ عَنْ مَسْأَلَةٍ.

• فَإِنْ كَانَ عِنْدَهُ عِلْمٌ أَجَابَ، وَقَدْ[٣] جَعَلَ أَصْلَهُ أَنَّ الْجَوَابَ مِنْ كِتَابٍ[٤] وَسُنَّةٍ وَإِجْمَاعٍ.

فَإِذَا[٥] وَرَدَتْ[٦] عَلَيْهِ مَسْأَلَةٌ قَدِ اخْتَلَفَ فِيهَا أَهْلُ الْعِلْمِ اجْتَهَدَ فِيهَا:

فَمَا كَانَ أَشْبَهَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ، وَلَمْ يَخْرُجْ بِهِ [مِنْ][٧] قَوْلِ الصَّحَابَةِ، [وَقَوْلِ الْفُقَهَاءِ بَعْدَهُمْ، قَالَ بِهِ، إِذَا كَانَ مُوَافِقًا لِقَوْلِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ][٨] وَقَوْلِ بَعْضِ

أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ قَالَ بِهِ.

• وَإِنْ كَانَ قد رَآهُ مِمَّا يُخَالِفُ بِهِ قَوْلَ الصَّحَابَةِ وَقَوْلَ فُقَهَاءِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّىٰ يَخْرُجَ عَنْ قَوْلِهِمْ لَمْ يَقُلْ بِهِ، وَاتَّهَمَ رَأْيَهُ، وَوَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ [يَسْأَلَ][1] مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ أَوْ مِثْلُهُ، حَتَّىٰ يَنْكَشِفَ لَهُ الْحَقُّ[2]، وَيَسْأَلَ مَوْلَاهُ أَنْ يُوَفِّقَهُ لِإِصَابَةِ الْخَيْرِ وَالْحَقِّ.

• وَإِذَا سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ لَا يَعْلَمُهُ: لَمْ يَسْتَحِ أَنْ يَقُولَ: لَا أَعْلَمُ.

• وَإِذَا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَعَلِمَ أَنَّهَا مِنْ مَسَائِلِ الشَّغَبِ[3]، وَمِمَّا يُورِثُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ الْفِتْنَةَ اسْتَعْفَىٰ مِنْهَا، وَرَدَّ السَّائِلَ إِلَىٰ مَا هُوَ أَوْلَىٰ بِهِ عَلَىٰ أَرْفَقِ مَا يَكُونُ.

• [وَ] إِنْ أَفْتَىٰ بِمَسْأَلَةٍ فَعَلِمَ أَنَّهُ أَخْطَأَ: لَمْ يَسْتَنْكِفْ[4] أَنْ يَرْجِعَ عَنْهَا.

• [وَ] إِنْ قَالَ قَوْلًا فَرَدَّهُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ -مِمَّنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ[5] أَوْ مِثْلُهُ أَوْ دُونَهُ- فَعَلِمَ أَنَّ الْقَوْلَ كَذَلِكَ، رَجَعَ عَنْ قَوْلِهِ، وَحَمِدَهُ عَلَىٰ ذَلِكَ وَجَزَاهُ خَيْرًا.

• [وَ][6] إِنْ سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ اشْتَبَهَ الْقَوْلُ عَلَيْهِ فِيهَا قَالَ: سَلُوا غَيْرِي، وَلَمْ يَتَكَلَّفْ مَا لَا يَتَقَرَّرُ عَلَيْهِ[7].

- يَحْذَرُ مِنَ الْمَسَائِلِ الْمُحْدَثَاتِ فِي الْبِدَعِ، لَا يُصْغِي إِلَىٰ أَهْلِهَا بِسَمْعِهِ، وَلَا يَرْضَىٰ بِمُجَالَسَةِ أَهْلِ الْبِدَعِ، وَلَا يُمَارِيهِمْ.
- أَصْلُهُ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ، وَمَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ.
- يَأْمُرُ بِالِاتِّبَاعِ، وَيَنْهَىٰ عَنِ الِابْتِدَاعِ.
- لَا يُجَادِلُ الْعُلَمَاءَ، وَلَا يُمَارِي السُّفَهَاءَ.
- هَمُّهُ فِي تِلَاوَةِ كَلَامِ اللهِ الْفَهْمُ.
- وَفِي سُنَنِ الرَّسُولِ ﷺ الْفِقْهُ، لِئَلَّا يُضَيِّعَ مَا لِلَّهِ [عَلَيْهِ][1]، وَلِيَعْلَمَ كَيْفَ يَتَقَرَّبُ إِلَىٰ مَوْلَاهُ.
- مُذَكِّرٌ لِلْغَافِلِ، مُعَلِّمٌ لِلْجَاهِلِ.
- يَضَعُ الْحِكْمَةَ عِنْدَ أَهْلِهَا، وَيَمْنَعُهَا مَنْ لَيْسَ بِأَهْلِهَا.
- مَثَلُهُ مَثَلُ الطَّبِيبِ[2]: يَضَعُ الدَّوَاءَ بِحَيْثُ يَعْلَمُ أَنَّهُ يَنْفَعُ.

فَهَذِهِ صِفَتُهُ وَمَا يُشْبِهُ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ الشَّرِيفَةَ، إِذَ كَانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ نَشَرَ لَهُ الذِّكْرَ بِالْعِلْمِ فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ، فَكُلَّمَا ازْدَادَ عِلْمًا ازْدَادَ لِلَّهِ تَوَاضُعًا، يَطْلُبُ الرِّفْعَةَ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، مَعَ شِدَّةِ حَذَرِهِ مِنْ وَاجِبِ مَا يَلْزَمُهُ مِنَ الْعِلْمِ.

ذِكْرُ صِفَةِ مُنَاظَرَةِ هَذَا الْعَالِمِ إِذَا احْتَاجَ إِلَى الْمُنَاظَرَةِ:

[قال محمد بن الحسين: اعْلَمُوا -رَحِمَكُمُ الله، وَوَفَّقَنَا الله وَإِيَّاكُمْ لِلرَّشَادِ-: أَنَّ مِنْ صِفَةِ][(١)] هَذَا الْعَالِمِ الْعَاقِلِ الَّذِي قَدْ فَقَّهَهُ اللهُ فِي الدِّينِ، وَنَفَعَهُ بِالْعِلْمِ:

- [أَنْ لَا يُجَادِلَ وَلَا يُمَارِيَ، وَلَا يُغَالِبُ بِالْعِلْمِ][(٢)] إِلَّا [مَنْ][(٣)] يَسْتَحِقُّ أَنْ يَغْلِبَهُ بِالْعِلْمِ الشَّافِي.

وَذَلِكَ [أَنْ يَحْتَاجَ][(٤)] فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ إِلَى مُنَاظَرَةِ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الزَّيْغِ، لِيَدْفَعَ بِحَقِّهِ بَاطِلَ مَنْ خَالَفَ[(٥)] الْحَقَّ، وَخَرَجَ عَنْ[(٦)] جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَيَكُونُ غَلَبَتُهُ لِأَهْلِ الزَّيْغِ تَعُودُ بركته[(٧)] عَلَى الْمُسْلِمِينَ عَلَى جهة الِاضْطِرَارِ إِلَى الْمُنَاظَرَةِ[(٨)]، لَا عَلَى الِاخْتِيَارِ، لِأَنَّ مِنْ صِفَةِ الْعَالِمِ الْعَاقِلِ أَنْ لَا يُجَالِسَ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ وَلَا يُجَادِلَهُمْ، فَأَمَّا فِي الْعِلْمِ وَالْفِقْهِ من[(٩)] سَائِرِ الْأَحْكَامِ فَلَا.

فإن قال قائل: فَإِنِ احْتَاجَ إِلَىٰ عِلْمِ مَسْأَلَةٍ قَدْ أَشْكَلَ عَلَيْهِ مَعْرِفَتُهَا، لِاخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِيهَا، لَابُدَّ لَهُ مِنْ أَنْ يُجَالِسَ الْعُلَمَاءَ وَيُنَاظِرَهُمْ حَتَّىٰ يَعْرِفَ الْقَوْلَ فِيهَا عَلَىٰ صِحَّتِهِ، وَإِنْ لَمْ يُنَاظِرْ لَمْ تَقْوَ مَعْرِفَتُهُ؟

قِيلَ [لَهُ]: بِهَذِهِ الْحُجَّةِ يَدْخُلُ الْعَدُوُّ عَلَىٰ النَّفْسِ الْمُتَّبِعَةِ لِلْهَوَىٰ، فَتَقُولُ(١): إِنْ لَمْ تُنَاظِرْ وَتُجَادِلْ لَمْ تَفْقَهْ، فَيَجْعَلُ هَذَا سَبَبًا لِلْجَدَلِ وَالْمِرَاءِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ، الَّذِي يُخَافُ مِنْهُ [سُوءَ](٢) عَاقِبَتِهِ، الَّذِي [حَذَّرَنَاهُ](٣) النَّبِيُّ ﷺ، وَحَذَّرَنَاهُ الْعُلَمَاءُ مِنْ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ.

٣٩- وَرُوِيَ(٤) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَهُوَ صَادِقٌ، بَنَىٰ اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ»(٥).

[قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ](١): وَعِنْدَ الْحُكَمَاءِ: أَنَّ الْمِرَاءَ أَكْثَرُهُ يُغَيِّرُ قُلُوبَ الْإِخْوَانِ، وَيُوَرِّثُ التَّفَرُّقَ (٢) بَعْدَ الْأُلْفَةِ، وَالْوَحْشَةَ بَعْدَ الْأُنْسِ.

٤٤- وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ (٤): «مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ» (٥).

فَالْمُؤْمِنُ الْعَالِمُ الْعَاقِلُ[١] يَخَافُ عَلَىٰ دِينِهِ مِنَ الْجَدَلِ وَالْمِرَاءِ.

فَإِنْ قَالَ[٢]: فَمَا يَصْنَعُ فِي عِلْمٍ قَدْ أُشْكِلَ عَلَيْهِ؟

قيل له: إِذَا كَانَ كَذَلِكَ، وَأَرَادَ أَنْ يَسْتَنْبِطَ عِلْمَ مَا أُشْكِلَ عَلَيْهِ:

- قَصَدَ إِلَىٰ عَالِمٍ مِمَّنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يُرِيدُ بِعِلْمِهِ اللهَ[٣]، مِمَّنْ يَرْتَضِي عِلْمَهُ وَفَهْمَهُ وَعَقْلَهُ، فَذَاكَرَهُ مُذَاكَرَةَ مَنْ يَطْلُبُ الْفَائِدَةَ.

- وَأَعْلَمَهُ أَنَّ مُنَاظَرَتِي إِيَّاكَ مُنَاظَرَةَ مَنْ يَطْلُبُ الْحَقَّ، وَلَيْسَتْ مُنَاظَرَةَ مُغَالِبٍ.

- ثُمَّ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْإِنْصَافَ لَهُ فِي مُنَاظَرَتِهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ أَنْ يُحِبَّ صَوَابَ مُنَاظِرِهِ، وَيَكْرَهَ خَطَأَهُ، كَمَا يُحِبُّ ذَلِكَ لِنَفْسِهِ[٤]، [لِأَنَّ مِنْ صِفَةِ العَالِمِ المُؤْمِنِ أَنْ

يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ][1]، وَيَكْرَهُ لَهُ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ.

• وَيُعْلِمُهُ أَيْضًا: إِنْ كَانَ مُرَادُكَ فِي مُنَاظَرَتِي أَنْ أُخْطِئَ الْحَقَّ، وَتَكُونَ أَنْتَ الْمُصِيبَ، وَيَكُونُ[2] أَنَا مُرَادِي أَنْ تُخْطِئَ الْحَقَّ، وَأَكُونُ أَنَا الْمُصِيبَ، فَإِنَّ هَذَا حَرَامٌ عَلَيْنَا فِعْلُهُ، لِأَنَّ هَذَا خُلُقٌ لَا يَرْضَاهُ اللهُ مِنَّا، وَوَاجِبٌ عَلَيْنَا أَنْ نَتُوبَ [مِنْ هَذَا][3].

فَإِنْ قَالَ: [فَكَيْفَ][4] نَتَنَاظَرُ[5]؟

قيل له: مُنَاصَحَةً.

فَإِنْ قَالَ: فَكَيْفَ الْمُنَاصَحَةُ؟

أَقُولُ لَهُ: لَمَّا كَانَتْ مَسْأَلَةٌ فِيمَا بَيْنَنَا، أَقُولُ أَنَا: إِنَّهَا حَلَالٌ.

وَتَقُولُ أَنْتَ: إِنَّهَا حَرَامٌ.

فَحُكْمُنَا جَمِيعًا أَنْ نَتَكَلَّمَ فِيهَا كَلَامَ مَنْ يَطْلُبُ السَّلَامَةَ، مُرَادِي أَنْ يَنْكَشِفَ لِي عَلَىٰ لِسَانِكَ الْحَقُّ، فَأَصِيرَ إِلَىٰ قَوْلِكَ، أَوْ يَنْكَشِفَ لَكَ عَلَىٰ لِسَانِيَ الْحَقُّ، فَتَصِيرَ

إِلَىٰ قَوْلِي، مِمَّا يُوَافِقُ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ وَالْإِجْمَاعَ(١).

فَإِنْ كَانَ هَذَا مُرَادَنَا رَجَوْتُ أَنْ نَحْمَدَ(٢) عَوَاقِبَ هَذِهِ الْمُنَاظَرَةِ، وَنُوَفَّقَ لِلصَّوَابِ، وَلَا يَكُونَ لِلشَّيْطَانِ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ نَصِيبٌ(٣).

وَمِنْ صِفَةِ هَذَا الْعَالِمِ الْعَاقِلِ إِذَا عَارَضَهُ فِي مَجْلِسِ الْعِلْمِ وَالْمُنَاظَرَةِ بَعْضُ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يُرِيدُ مُنَاظَرَتَهُ لِلْجَدَلِ وَالْمِرَاءِ وَالْمُغَالَبَةِ: لَمْ تَسَعْهُ(٤) مُنَاظَرَتُهُ، لِأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ إِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ يَدْفَعَ قَوْلَهُ، وَيَنْصُرَ مَذْهَبَهُ، وَلَوْ أَتَاهُ بِكُلِّ حُجَّةٍ مِثْلُهَا يَجِبُ أَنْ يَقْبَلَهَا، لَمْ يَقْبَلْ ذَلِكَ، وَنَصَرَ قَوْلَهُ.

وَمَنْ كَانَ هَذَا مُرَادُهُ لَمْ تُؤْمَنْ فِتْنَتُهُ، وَلَمْ تُحْمَدْ عَوَاقِبُهُ(٥).

وَمِنْهُمْ مَنْ يَحْتَجُّ فِي مَسْأَلَةٍ بِقَوْلِ صَحَابِيٍّ، فَيَرُدُّ عَلَيْهِ خَصْمُهُ ذَلِكَ، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَىٰ مَا يَحْتَجُّ عَلَيْهِ، كُلُّ ذَلِكَ نُصْرَةً مِنْهُ لِقَوْلِهِ، لَا يُبَالِي أَنْ يَرُدَّ السُّنَنَ وَالْآثَارَ.

قال محمد بن الحسين: مِنْ صِفَةِ الْجَاهِلِ:

الْجَدَلُ، وَالْمِرَاءُ، وَالْمُغَالَبَةُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِمَّنْ هَذَا مُرَادُهُ.

وَمِنْ صِفَةِ الْعَالِمِ العَاقِلِ: الْمُنَاصَحَةُ فِي مُنَاظَرَتِهِ، وَطَلَبُ الْفَائِدَةِ لِنَفْسِهِ وَلِغَيْرِهِ.

كَثَّرَ اللهُ فِي الْعُلَمَاءِ مِثْلَ هَذَا، وَنَفَعَهُ بِالْعِلْمِ، وَزَيَّنَهُ بِالْحِلْمِ.

ذِكْرُ أَخْلَاقِ هَذَا الْعَالِمِ وَمُعَاشَرَتِهِ لِمَنْ عَاشَرَ[١] مِنْ سَائِرِ الْخَلْقِ كيف يجري[٢]:

قال محمد بن الحسين: مَنْ كَانَتْ صِفَاتُهُ فِي عِلْمِهِ ما[٣] تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ مِنْ أَخْلَاقِهِ -وَاللهُ أَعْلَمُ-.

- أَنْ يَأْمَنَ شَرَّهُ مَنْ خَالَطَهُ، وَيَأْمَلَ خَيْرَهُ مَنْ صَاحَبَهُ.
- لَا يُؤَاخِذُ بِالْعَثَرَاتِ، وَلَا يُشِيعُ الذُّنُوبَ [عَنْ غَيْرِهِ][٤].
- وَلَا يَقْطَعُ بِالْبَلَاغَاتِ، وَلَا يُفْشِي سِرَّ[٥] مَنْ عَادَاهُ.
- ولا[٦] يَنْتَصِرُ مِنْهُ بِغَيْرِ حَقٍّ، وَيَعْفُو وَيَصْفَحُ عَنْهُ.
- ذَلِيلٌ لِلْحَقِّ، عَزِيزٌ عَنِ الْبَاطِلِ.

• كَاظِمٌ لِلْغَيْظِ عَمَّنْ آذَاهُ، شَدِيدُ الْبُغْضِ لِمَنْ عَصَىٰ مَوْلَاهُ.

• [يُجِيبُ السَّفِيهَ](١) بِالصَّمْتِ عَنْهُ، وَالْعَالِمَ بِالْقَبُولِ مِنْهُ.

• لَا مُدَاهِنٌ، وَلَا مُشَاحِنٌ، [وَلا مُرَاءٍ(٢) وَلَا مُخْتَالٌ، وَلَا حَسُودٌ، وَلَا حَقُودٌ، وَلَا سَفِيهٌ، وَلَا جَافٍ](٣)، وَلَا فَظٌّ، وَلَا غَلِيظٌ، وَلَا طَعَّانٌ، وَلَا لَعَّانٌ، وَلَا مُغْتَابٌ، وَلَا سَبَّابٌ.

• يُخَالِطُ مِنَ الْإِخْوَانِ مَنْ عَاوَنَهُ عَلَىٰ طَاعَةِ رَبِّهِ، وَنَهَاهُ عَمَّا يَكْرَهُ مَوْلَاهُ، وَيُخَالِقُ بِالْجَمِيلِ مَنْ لَا يَأْمَنُ شَرَّهُ، [إِبْقَاءً](٤) عَلَىٰ دِينِهِ.

• سَلِيمُ الْقَلْبِ لِلْعِبَادِ مِنَ الْغِلِّ وَالْحَسَدِ.

• يَغْلِبُ عَلَىٰ قَلْبِهِ حُسْنُ الظَّنِّ بِالْمُؤْمِنِينَ فِي كُلِّ مَا أَمْكَنَ فِيهِ الْعُذْرُ.

• لَا يُحِبُّ زَوَالَ النِّعَمِ عَنْ أَحَدٍ مِنَ الْعِبَادِ.

• يُدَارِي جَهْلَ مَنْ عَامَلَهُ بِرِفْقِهِ.

إِذَا تَعَجَّبَ مِنْ جَهْلِ غَيْرِهِ ذَكَرَ أَنَّ جَهْلَهُ أَكْثَرُ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ ﷻ.

لَا يَتَوَقَّعُ لَهُ بَائِقَةً(٥)، وَلَا يَخَافُ مِنْهُ غَائِلَةً(٦).

النَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ، وَنَفْسُهُ مِنْهُ فِي جَهْدٍ.

ذِكْرُ أَخْلَاقِ هَذَا الْعَالِمِ وَأَوْصَافِهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ ﷻ:

قال محمد بن الحسين: جَمِيعُ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهُ، مِمَّا يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يَسْتَعْمِلَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الشَّرِيفَةِ، كُلُّهَا تَجْرِي لَهُ بِتَوْفِيقٍ مِنْ مَوْلَاهُ الْكَرِيمِ، وَمَنْ جَرَىٰ لَهُ التَّوْفِيقُ بِمَا ذَكَرْنَا كَانَ اسْتِعْمَالُهُ لِلْأَخْلَاقِ الشَّرِيفَةِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ ﷻ أَعْظَمَ شَأْنًا مِمَّا ذَكَرْتُ، مِمَّا قَدْ أَوْصَلَهُ مَوْلَاهُ الْكَرِيمُ إِلَىٰ قَلْبِهِ، يُمَتِّعُهُ بِهَا شَرَفًا لَهُ بِمَا خَصَّهُ مِنْ عِلْمِهِ، إِذْ جَعَلَهُ وَارِثَ عِلْمِ الْأَنْبِيَاءِ، وَقُرَّةً لِعُيُونِ[١] الْأَوْلِيَاءِ، وَطَبِيبًا لِقُلُوبِ أَهْلِ الْجَفَاءِ.

فَمِنْ صِفَتِهِ:

- أَنْ يَكُونَ لِلَّهِ شَاكِرًا وَلَهُ ذَاكِرًا.
- دَائِمَ الذِّكْرِ بِحَلَاوَةِ حُبِّ الْمَذْكُورِ، مُنَعَّمٌ قَلْبُهُ بِمُنَاجَاةِ الرَّحْمَنِ.
- يَعُدُّ نَفْسَهُ مَعَ شِدَّةِ اجْتِهَادِهِ خَاطِئًا مُذْنِبًا، [وَمَعَ الدُّؤُوبِ][٢] عَلَىٰ حُسْنِ الْعَمَلِ مُقَصِّرًا.
- [لَجَأَ][٣] إِلَىٰ اللهِ ﷻ فَقَوَّىٰ ظَهْرَهُ، وَوَثِقَ بِاللهِ فَلَمْ يَخَفْ غَيْرَهُ.
- مُسْتَغْنٍ بِاللهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَمُفْتَقِرٌ إِلَىٰ اللهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ.
- أُنْسُهُ بِاللهِ وَحْدَهُ، وَوِحْشَتُهُ مِمَّنْ يَشْغَلُهُ عَنْ رَبِّهِ.
- إِنِ ازْدَادَ عِلْمًا خَافَ تَوْكِيدَ الْحُجَّةِ.
- مُشْفِقٌ عَلَىٰ مَا مَضَىٰ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ أَنْ لَا يُقْبَلَ مِنْهُ.
- هَمُّهُ فِي تِلَاوَةِ كَلَامِ اللهِ الْفَهْمُ عَنْ مَوْلَاهُ.
- وَفِي سُنَنِ الرَّسُولِ ﷺ الْفِقْهُ، لِئَلَّا يُضَيِّعَ مَا أُمِرَ بِهِ.

- مُتَأَدِّبٌ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ.
- لَا يُنَافِسُ أَهْلَ الدُّنْيَا فِي عِزِّهَا، وَلَا يَجْزَعُ مِنْ ذُلِّهَا.
- يَمْشِي عَلَىٰ الْأَرْضِ هَوْنًا بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، وَمُشْتَغِلٌ قَلْبُهُ بِالْفَهْمِ وَالِاعْتِبَارِ.
- إِنْ فَرَغَ قَلْبُهُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ فَمُصِيبَةٌ عِنْدَهُ عَظِيمَةٌ.
- وَإِنْ أَطَاعَ اللهَ ﷻ بِغَيْرِ حُضُورِ فَهْمٍ فَخُسْرَانٌ عِنْدَهُ مُبِينٌ.
- يَذْكُرُ اللهَ مَعَ الذَّاكِرِينَ، وَيَعْتَبِرُ بِلِسَانِ الْغَافِلِينَ.
- عَالِمٌ بِدَاءِ نَفْسِهِ، وَمُتَّهِمٌ لَهَا فِي كُلِّ حَالٍ.
- اتَّسَعَ فِي الْعُلُومِ، فَتَرَاكَبَتْ(١) عَلَىٰ قَلْبِهِ الْهُمُومُ(٢)، فَاسْتَحْيَا(٣) مِنَ الْحَيِّ الْقَيُّومِ.
- وَشُغْلُهُ بِاللهِ فِي جَمِيعِ سَعْيِهِ مُتَّصِلٌ، وَعَنْ غَيْرِهِ مُنْفَصِلٌ.

فإن قال قائل: فَهَلْ لِهَذَا النَّعْتِ الَّذِي نَعَتَّ بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَوَصَفْتَهُمْ بِهِ، أَصْلٌ فِي الْقُرْآنِ أَوِ السُّنَّةِ، أَوْ أَثَرٌ عَمَّنْ تَقَدَّمَ؟

قيل له: نَعَمْ، وَسَنَذْكُرُ مِنْهُ مَا يَدُلُّ عَلَىٰ مَا قُلْنَا إِنْ شَاءَ اللهُ.

قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [سورة الإسراء:١٠٧-١٠٩].

أَفَلَا تَرَىٰ -رَحِمَكَ اللهُ- كَيْفَ وَصَفَ الْعُلَمَاءَ بِالْبُكَاءِ وَالْخَشْيَةِ وَالطَّاعَةِ وَالتَّذَلُّلِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ؟

٥١- ثَنَا أَبُو الْفَضْلِ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ الصَّنْدَلِيُّ، ثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ زَنْجَوَيْهِ، ثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ[١]، عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ، عَنْ زَائِدَةَ، عَنْ هِشَامٍ، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «إِنْ كَانَ الرَّجُلُ إِذَا طَلَبَ الْعِلْمَ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ يُرَىٰ ذَلِكَ فِي تَخَشُّعِهِ وَبَصَرِهِ وَلِسَانِهِ وَيَدِهِ وَزُهْدِهِ، وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَطْلُبُ الْبَابَ مِنْ أَبْوَابِ الْعِلْمِ فَيَعْمَلُ بِهِ فَيَكُونُ خَيْرًا لَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، لَوْ كَانَتْ لَهُ فَجَعَلَهَا فِي الْآخِرَةِ»[٢].

=

٥٢- ثَنَا أَبُو سَعِيدٍ [الْمُفَضَّلُ](١) بْنُ مُحَمَّدٍ الْيَمَانِيُّ، فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مَيْمُونٍ الْخَيَّاطُ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عُيَيْنَةَ يَقُولُ: «إِذَا كَانَ نَهَارِي نَهَارَ سَفِيهٍ، وَلَيْلِي لَيْلَ جَاهِلٍ، فَمَا أَصْنَعُ بِالْعِلْمِ الَّذِي كَتَبْتُ؟»(٢).

٥٣- ثَنَا أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَىٰ الْحُلْوَانِيُّ، ثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْحِمَّانِيُّ، ثَنَا أَبُو بَدْرٍ(٣)، ثَنَا زِيَادُ بْنُ خَيْثَمَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ ضَمْرَةَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ(٤): «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِالْفَقِيهِ حَقَّ الْفَقِيهِ؟ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ، وَلَمْ يُرَخِّصْ لَهُمْ فِي مَعَاصِي اللهِ، وَلَمْ يُؤَمِّنْهُمْ مَكْرَ اللهِ، وَلَمْ يَتْرُكِ الْقُرْآنَ إِلَىٰ غَيْرِهِ، [وَلَا خَيْرَ فِي عِبَادَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَفَقُّهٌ](٥)، وَلَا خَيْرَ فِي تَفَقُّهٍ لَيْسَ فِيهِ تَفَهُّمٌ، وَلَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَدَبُّرٌ»(٦).

٥٤- ثَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْوَاسِطِيُّ، ثَنَا هَارُونُ الْحَمَّالُ، ثَنَا سَيَّارٌ، ثَنَا جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، ثَنَا مطَرٌ الْوَرَّاقُ قَالَ: سَأَلْتُ الْحَسَنَ عَنْ مَسْأَلَةٍ، فَقَالَ فِيهَا. فَقُلْتُ: يَا أَبَا سَعِيدٍ، يَأْبَىٰ عَلَيْكَ الْفُقَهَاءُ وَيُخَالِفُونَكَ. فَقَالَ: «ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ مَطَرُ، وَهَلْ رَأَيْتَ فَقِيهًا قَطُّ؟ [وَهَلْ تَدْرِي مَا الْفَقِيهُ؟][(١)] الْفَقِيهُ: الْوَرِعُ الزَّاهِدُ الَّذِي لَا يَسْخَرُ [بِمَنْ][(٢)] أَسْفَلَ مِنْهُ، وَلَا يَهْمِزُ مَنْ فَوْقَهُ، وَلَا يَأْخُذُ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَّمَهُ اللهُ حُطَامًا[(٣)]»[(٤)].

قال محمد بن الحسين: هَذِهِ الْأَخْبَارُ تَدُلُّ عَلَىٰ مَا وَصَفْنَا بِهِ الْعُلَمَاءَ وَالْفُقَهَاءَ.

فإن قال قائل: وَلِمَ دَاخَلَ الْعُلَمَاءَ هَذَا الْإِشْفَاقُ الشَّدِيدُ، وَخَافُوا مِنْ عِلْمِهِمْ هَذَا الْخَوْفَ كُلَّهُ؟

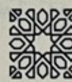
قيل له: عَلِمُوا أَنَّ اللهَ ﷻ يُسَائِلُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ: مَا عَمِلُوا فِيهِ؟ فَجَعَلُوا مُسَاءَلَةَ اللهِ نُصْبَ أَعْيُنِهِمْ، فَأَلْزَمُوا أَنْفُسَهُمْ شِدَّةَ الْحَذَرِ، وَأَخَذُوا بِالثِّقَةِ فِي كُلِّ أَمْرِهِمْ.

إِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَإِنَّ الْعُلَمَاءَ لَيُسْأَلُونَ عَنْ عِلْمِهِمْ: مَا عَمِلُوا فِيهِ؟

قِيلَ: نَعَمْ.

فَإِنْ قَالَ: فَاذْكُرْ مِنْ ذَلِكَ مَا إِذَا سَمِعَهُ الْعَالِمُ انْتَبَهَ مِنْ رَقْدَتِهِ، وَأَخَذَ نَفْسَهُ بِلُزُومِ أَخْلَاقِ مَنْ ذَكَرْتَ، وَاللهُ مُوَفِّقُنَا.

قِيلَ: نَعَمْ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.

٦٠- ثَنَا الْفِرْيَابِيُّ، ثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَشَيْبَانُ بْنُ فَرُّوخٍ قَالَا: ثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، ثَنَا هِلَالُ بْنُ أَبِي حُمَيْدٍ، وَقَالَ قُتَيْبَةُ: عَنْ هِلَالٍ الْوَزَّانِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُكَيْمٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ -يَعْنِي: مَسْجِدَ الْكُوفَةِ[1]- بَدَأَ بِالْيَمِينِ قَبْلَ أَنْ يُحَدِّثَنَا فَقَالَ: «وَاللهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَإِنَّ رَبَّهُ سَيَخْلُو بِهِ كَمَا يَخْلُو أَحَدُكُمْ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، ثُمَّ يَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَا غَرَّكَ بِي؟ -ثَلَاثَ مِرَارٍ- مَاذَا أَجَبْتَ الْمُرْسَلِينَ؟ كَيْفَ عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ؟»[2].

=

[و] (١) قَالَ الْفُضَيْلُ (٢): «الْعُلَمَاءُ كَثِيرٌ، وَالْحُكَمَاءُ قَلِيلٌ، وَإِنَّمَا يُرَادُ مِنَ الْعِلْمِ الْحِكْمَةُ، فَمَنْ أُوتِيَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا (٣)» (٤).

قال محمد بن الحسين: قَوْلُ الْفُضَيْلِ: -وَاللهُ أَعْلَمُ- الْفُقَهَاءُ كَثِيرٌ، وَالْحُكَمَاءُ قَلِيلٌ، يَعْنِي: قَلِيلٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ صَانَ عِلْمَهُ عَنِ الدُّنْيَا وَطَلَبَ بِهِ الْآخِرَةَ، وَالْكَثِيرُ مِنَ الْعُلَمَاءِ قَدِ افْتُتِنَ بِعِلْمِهِ.

وَالْحُكَمَاءُ قَلِيلٌ، كَأَنَّهُ يَقُولُ: مَا أَعَزَّ مَنْ طَلَبَ بِعِلْمِهِ الْآخِرَةَ.

يُبْصِرُ زَمَانَكُمْ إِلَّا الْبَصِيرُ، إِنَّكُمْ فِي زَمَانٍ كَثِيرٌ[١] نَفَخَاتُهُمْ[٢]، قَدِ انْتَفَخَتْ أَلْسِنَتُهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ، وَطَلَبُوا الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، فَاحْذَرُوهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، لَا يُوقِعُوكُمْ فِي شَبَكَاتِهِمْ، [يَا عَالِمُ، أَنْتَ عَالِمٌ تَأْكُلُ بِعِلْمِكَ، يَا عَالِمُ، أَنْتَ عَالِمٌ تَفْخَرُ بِعِلْمِكَ][٣]، يَا عَالِمُ، أَنْتَ عَالِمٌ تُكَاثِرُ بِعِلْمِكَ، يَا عَالِمُ، أَنْتَ عَالِمٌ تَسْتَطِيلُ بِعِلْمِكَ، لَوْ كَانَ هَذَا الْعِلْمُ طَلَبْتَهُ لِلَّهِ لَرُئِيَ ذَلِكَ فِيكَ وَفِي عَمَلِكَ».

قال محمد بن الحسين:

فإن قال قائل: فَصِفْ لَنَا أَخْلَاقَ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ الَّذِينَ عِلْمُهُمْ حُجَّةٌ عَلَيْهِمْ، حَتَّىٰ إِذَا رَأَيْنَا مَنْ يُشَارُ إِلَيْهِ بِالْعِلْمِ اعْتَبَرْنَا مَا ظَهَرَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ، فَإِذَا رَأَيْنَا أَخْلَاقًا لَا تَحْسُنُ بِأَهْلِ الْعِلْمِ اجْتَنَبْنَاهُمْ، وَعَلِمْنَا أَنَّ مَا اسْتَبْطَنُوهُ مِنْ دَنَاءَةِ الْأَخْلَاقِ أَقْبَحُ مِمَّا ظَهَرَ، وَعَلِمْنَا أَنَّهُ فِتْنَةٌ فَاجْتَنَبْنَاهُمْ، لِئَلَّا نُفْتَنَ كَمَا افْتُتِنُوا، وَاللهُ مُوَفِّقُنَا لِلرَّشَادِ.

قيل له: نَعَمْ، سَنَذْكُرُ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ مَا إِذَا سَمِعَهَا مَنْ يُنْسَبُ إِلَىٰ الْعِلْمِ رَجَعَ إِلَىٰ نَفْسِهِ، فَتَصَفَّحَ[٤] أَمْرَهُ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ خُلُقٌ مِنْ تِلْكَ الْأَخْلَاقِ الْمَكْرُوهَةِ الْمَذْمُومَةِ اسْتَغْفَرَ اللهَ، وَأَسْرَعَ الرَّجْعَةَ عَنْهَا إِلَىٰ أَخْلَاقٍ هِيَ أَوْلَىٰ بِالْعِلْمِ، مِمَّا يُقَرِّبُهُمْ إِلَىٰ اللهِ ﷻ، وَتَجَافَىٰ عَنِ الْأَخْلَاقِ الَّتِي [تُبَاعِدُهُمْ][٥] عَنِ اللهِ.

فَمِنْ صِفَتِهِ فِي طَلَبِهِ لِلْعِلْمِ:

• يَطْلُبُ الْعِلْمَ بِالسَّهْوِ وَالْغَفْلَةِ، وَإِنَّمَا يَطْلُبُ مِنَ الْعِلْمِ مَا أَسْرَعَ إِلَيْهِ هَوَاهُ.

فَإِنْ قَالَ: كَيْفَ؟

قِيلَ: لَيْسَ مُرَادُهُ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ أَنَّهُ فَرْضٌ عَلَيْهِ لِيَتَعَلَّمَ كَيْفَ [يَعْبُدُ](١) اللهَ فِيمَا يَعْبُدُهُ مِنْ أَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ؟

إِنَّمَا مُرَادُهُ فِي طَلَبِهِ: يُكْثِرَ التَّعَرُّفَ أَنَّهُ مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ، وَلِيَكُونَ عِنْدَهُ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَهُ هَذَّبَ نَفْسَهُ.

• وَكُلُّ(٢) عِلْمٍ إِذَا سَمِعَهُ أَوْ حَفِظَهُ شَرُفَ بِهِ عِنْدَ الْمَخْلُوقِينَ؛ سَارَعَ إِلَيْهِ، وَخَفَّ فِي طَلَبِهِ.

• وَكُلُّ عِلْمٍ وَجَبَ عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَعْلَمَهُ، فَيَعْمَلَ بِهِ؛ ثَقُلَ عَلَيْهِ طَلَبُهُ، فَتَرَكَهُ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ مِنْهُ، مَعَ شِدَّةِ فَقْرِهِ إِلَيْهِ.

• يَثْقُلُ عَلَيْهِ أَنْ يَفُوتَهُ [سَمَاعٌ لِعِلْمٍ](٣) قَدْ أَرَادَهُ، حَتَّىٰ يُلْزِمَ نَفْسَهُ بِالِاجْتِهَادِ فِي سَمَاعِهِ، فَإِذَا سَمِعَهُ هَانَ عَلَيْهِ تَرْكُ الْعَمَلِ بِهِ، فَلَمْ [يُلْزِمْ نَفْسَهُ](٤) مَا وَجَبَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَمَلِ بِهِ كَمَا أَلْزَمَهَا السَّمَاعَ، فَهَذِهِ غَفْلَةٌ عَظِيمَةٌ.

إِنْ فَاتَهُ سَمَاعُ شَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ [أَحْزَنَهُ ذَلِكَ](١)، وَأَسِفَ عَلَىٰ فَوْتِهِ، كُلُّ ذَلِكَ بِغَيْرِ تَمْيِيزٍ مِنْهُ، وَكَانَ أَوْلَىٰ(٢) بِهِ أَنْ يَحْزَنَ عَلَىٰ عِلْمٍ قَدْ سَمِعَهُ، فَوَجَبَتْ عَلَيْهِ بِهِ الْحُجَّةُ، فَلَمْ يَعْمَلْ بِهِ، ذَلِكَ [كَانَ](٣) أَوْلَىٰ بِهِ أَنْ يَحْزَنَ عَلَيْهِ وَيَتَأَسَّفَ.

• يَتَفَقَّهُ لِلرِّيَاءِ، وَيُحَاجُّ لِلْمِرَاءِ.

• مُنَاظَرَتُهُ فِي الْعِلْمِ تُكْسِبُهُ الْمَأْثَمَ.

• مُرَادُهُ فِي مُنَاظَرَتِهِ أَنْ يُعْرَفَ بِالْبَلَاغَةِ.

• وَمُرَادُهُ أَنْ يُخْطِئَ مُنَاظِرُهُ.

• إِنْ أَصَابَ مُنَاظِرُهُ الْحَقَّ سَاءَهُ ذَلِكَ.

فَهُوَ دَائِبٌ يَسُرُّهُ مَا يَسُرُّ الشَّيْطَانَ، وَيَكْرَهُ مَا يُحِبُّ الرَّحْمَنُ.

• يَتَعَجَّبُ مِمَّنْ لَا يُنْصِفُ فِي الْمُنَاظَرَةِ، وَهُوَ يَجُورُ فِي الْمُحَاجَّةِ.

• يَحْتَجُّ عَلَىٰ خَطَئِهِ وَهُوَ يَعْرِفُهُ، وَلَا يُقِرُّ بِهِ خَوْفًا أَنْ يُذَمَّ عَلَىٰ خَطَئِهِ.

• يُرَخِّصُ فِي الْفَتْوَىٰ لِمَنْ أَحَبَّ، وَيُشَدِّدُ عَلَىٰ مَنْ لَا هَوَىٰ لَهُ فِيهِ.

• يَذُمُّ بَعْضَ الرَّأْيِ، فَإِنِ احْتَاجَ إِلَىٰ[٤] الْحُكْمِ وَالْفُتْيَا لِمَنْ أَحَبَّ دَلَّهُ عَلَيْهِ، وَعَمِلَ بِهِ.

• مَنْ تَعَلَّمَ مِنْهُ عِلْمًا، فَهِمَّتُهُ فِيهِ مَنَافِعُ الدُّنْيَا، فَإِنْ عَادَ عَلَيْهِ خَفَّ عَلَيْهِ تَعْلِيمُهُ، وَإِنْ كَانَ مِمَّنْ لَا مَنْفَعَةَ لَهُ فِيهِ لِلدُّنْيَا، وَإِنَّمَا مَنْفَعَتُهُ الْآخِرَةُ ثَقُلَ عَلَيْهِ.

• يَرْجُو ثَوَابَ [عِلْمٍ لَمْ][٥] يَعْمَلْ بِهِ، وَلَا يَخَافُ سُوءَ عَاقِبَةِ الْمُسَاءَلَةِ عَنْ تَخَلُّفِ الْعَمَلِ بِهِ.

• يَرْجُو ثَوَابَ اللهِ عَلَىٰ بُغْضِهِ مَنْ ظَنَّ بِهِ السُّوءَ مِنَ الْمَسْتُورِينَ، وَلَا يَخَافُ مَقْتَ اللهِ عَلَىٰ مُدَاهَنَتِهِ لِلْمَهْتُوكِينَ(١).

• يَنْطِقُ بِالْحِكْمَةِ فَيَظُنُّ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِهَا، وَلَا يَخَافُ عِظَمَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ لِتَرْكِهِ اسْتِعْمَالَهَا.

• إِنْ عَلِمَ ازْدَادَ مُبَاهَاةً وَتَصَنُّعًا.

• وَإِنِ احْتَاجَ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ عِلْمٍ تَرَكَهُ أَنَفًا(٢).

• إِنْ كَثُرَ الْعُلَمَاءُ فِي عَصْرِهِ فَذُكِرُوا بِالْعِلْمِ أَحَبَّ أَنْ يُذْكَرَ مَعَهُمْ.

• إِنْ سُئِلَ الْعُلَمَاءُ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَلَمْ يُسْأَلْ هُوَ، أَحَبَّ أَنْ يُسْأَلَ كَمَا يُسْأَلُ(٣) غَيْرُهُ، وَكَانَ أَوْلَىٰ بِهِ أَنْ يَحْمَدَ رَبَّهُ إِذْ(٤) لَمْ يُسْأَلْ، [وَإِذْ كَانَ](٥) غَيْرُهُ قَدْ كَفَاهُ.

• إِنْ بَلَغَهُ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الْعُلَمَاءِ أَخْطَأَ وَأَصَابَ هُوَ؛ فَرِحَ بِخَطَإِ غَيْرِهِ، وَكَانَ حُكْمُهُ أَنْ يَسُوءَهُ ذَلِكَ.

• إِنْ مَاتَ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ سَرَّهُ مَوْتُهُ، لِيَحْتَاجَ النَّاسُ إِلَىٰ عِلْمِهِ(٦).

• إِنْ سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنِفَ أَنْ يَقُولَ: لَا أَعْلَمُ، حَتَّىٰ يَتَكَلَّفَ مَا لَا يَسَعُهُ فِي الْجَوَابِ.

• إِنْ عَلِمَ أَنَّ غَيْرَهُ أَنْفَعُ لِلْمُسْلِمِينَ [مِنْهُ][1] كَرِهَ حَيَاتَهُ، وَلَمْ يُرْشِدِ النَّاسَ إِلَيْهِ.

• إِنْ عَلِمَ أَنَّهُ قَالَ قَوْلًا فَتُوبِعَ عَلَيْهِ، وَصَارَتْ لَهُ بِهِ رُتْبَةٌ عِنْدَ مَنْ جَهِلَهُ، ثُمَّ عَلِمَ أَنَّهُ أَخْطَأَ أَنِفَ أَنْ يَرْجِعَ عَنْ خَطَئِهِ، فَيَثْبُتُ.

• يَنْصُرُ الْخَطَأَ، لِئَلَّا تَسْقُطَ رُتْبَتُهُ عِنْدَ الْمَخْلُوقِينَ.

• يَتَوَاضَعُ بِعِلْمِهِ لِلْمُلُوكِ وَأَبْنَاءِ الدُّنْيَا، لِيَنَالَ حَظَّهُ مِنْهُمْ بِتَأْوِيلٍ يُقِيمُهُ.

• وَيَتَكَبَّرُ عَلَىٰ مَنْ لَا دُنْيَا لَهُ مِنَ الْمَسْتُورِينَ وَالْفُقَرَاءِ، فَيَحْرِمُهُمْ عِلْمَهُ بِتَأْوِيلٍ يُقِيمُهُ.

• يَعُدُّ نَفْسَهُ فِي الْعُلَمَاءِ، وَأَعْمَالُهُ أَعْمَالُ السُّفَهَاءِ.

• قَدْ فَتَنَهُ حُبُّ الدُّنْيَا وَالثَّنَاءِ وَالشَّرَفِ وَالْمَنْزِلَةِ عِنْدَ أَهْلِ الدُّنْيَا.

• يَتَجَمَّلُ بِالْعِلْمِ كَمَا تَتَجَمَّلُ بِالْحُلَّةِ الْحَسْنَاءُ لِلدُّنْيَا، وَلَا يُجَمِّلُ عِلْمَهُ بِالْعَمَلِ بِهِ[2].

قال محمد بن الحسين: مَنْ تَدَبَّرَ هَذِهِ الْخِصَالَ، فَعَرَفَ أَنَّ فِيهِ بَعْضَ مَا ذَكَرْنَا، وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ [يَسْتَحِيَ](١) مِنَ اللهِ، وَأَنْ يُسْرِعَ الرُّجُوعَ إِلَىٰ الْحَقِّ.

وَسَأَذْكُرُ مِنَ الْآثَارِ بَعْضَ مَا ذَكَرْتُ، لِيَتَأَدَّبَ بِهِ الْعَالِمُ إِنْ شَاءَ اللهُ.

فَأَمَّا قَوْلُنَا: يَتَجَمَّلُ بِالْعِلْمِ، وَلَا يُجَمِّلُ [العِلْمَ بِعَمَلِهِ]:

٨٢- ثَنَا أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَىٰ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَاعِدٍ، ثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ الْحَسَنِ الْمَرْوَزِيُّ، ثَنَا ابْنُ الْمُبَارَكِ، ثَنَا [حَرِيزُ](٢) بْنُ عُثْمَانَ، عَنْ حَبِيبِ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: «تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، وَاعْقِلُوهُ(٣)، وَانْتَفِعُوا بِهِ، وَلَا تَعَلَّمُوهُ [لِتُجَمَّلُوا] بِهِ، فَإِنَّهُ(٤) يُوشِكُ إِنْ طَالَ بِكَ الْعُمُرُ أَنْ تَتَجَمَّلَ بِالْعِلْمِ، كَمَا يَتَجَمَّلُ الرَّجُلُ بِثَوْبِهِ»(٥).

• **وَأَمَّا مَا ذَكَرْنَا فِي الْأُغْلُوطَاتِ، وَتَعْقِيدِ الْمَسَائِلِ** مِمَّا يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ أَنْ يُنَزِّهَ نَفْسَهُ عَنِ الْبَحْثِ عَنْهَا مِمَّا لَمْ يَكُنْ -وَلَعَلَّهَا لَا تَكُونُ أَبَدًا- فَيُشْغِلُونَ نُفُوسَهُمْ بِالنَّظَرِ وَالْجَدَلِ وَالْمِرَاءِ فِيهَا(١)، حَتَّىٰ يَشْتَغِلُوا بِهَا عَمَّا هُوَ أَوْلَىٰ بِهِمْ، وَيُغَالِطُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَطْلُبُ بَعْضُهُمْ زَلَلَ بَعْضٍ، وَيَسْأَلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا:

هَذَا كُلُّهُ مَكْرُوهٌ مَنْهِيٌّ عَنْهُ، لَا يَعُودُ عَلَىٰ مَنْ أَرَادَ هَذَا مَنْفَعَةٌ فِي دِينِهِ، وَلَيْسَ هَذَا طَرِيقُ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ، مَا كَانَ يَطْلُبُ بَعْضُهُمْ غَلَطَ بَعْضٍ، وَلَا مُرَادُهُمْ أَنْ يُخَطِّئَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، بَلْ كَانُوا عُلَمَاءَ عُقَلَاءَ، يَتَكَلَّمُونَ فِي الْعِلْمِ مُنَاصَحَةً، [وَقَدْ نَفَعَهُمُ](٢) اللهُ بِالْعِلْمِ.

٩٣- ثَنَا الْفِرْيَابِيُّ، ثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، ثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا: رَجُلٌ سَأَلَ عَنْ أَمْرٍ لَمْ يُحَرَّمْ، فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ»(٣).

٩٤- ثَنَا أَحْمَدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ عَبْدِ الْجَبَّارِ الصُّوفِيُّ أَبُو عَبْدِ اللهِ، ثَنَا أَبُو طَالِبٍ عَبْدُ الْجَبَّارِ بْنُ عَاصِمٍ، ثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَمْرٍو، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ، عَنْ وَرَّادٍ، مَوْلَىٰ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﵁: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَىٰ عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ»(٤).

قال محمد بن الحسين: مَنْ تَخَلَّقَ بِهَذِهِ الْأَخْلَاقِ كَانَتْ أَوْصَافُهُ تِلْكَ الْأَوْصَافَ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُنَا لَهَا، وَصْفَ مَنْ نَفَعَهُمُ اللهُ بِالْعِلْمِ[١].

• وَأَمَّا مَنْ كَانَتْ أَوْصَافُهُ وَأَخْلَاقُهُ الْأَخْلَاقَ الْمَذْمُومَةَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا: لَمْ يَلْتَفِتْ إِلَىٰ هَذَا، وَاتَّبَعَ هَوَاهُ، وَتَعَاظَمَ فِي نَفْسِهِ، وَتَجَبَّرَ، وَلَمْ يُؤَثِّرِ الْعِلْمُ فِي قَلْبِهِ أَثَرًا يَعُودُ عَلَيْهِ نَفْعُهُ، وَكَانَتْ أَخْلَاقُهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أُمُورِهِ أَخْلَاقَ أَهْلِ الْجَفَاءِ وَالْغَفْلَةِ.

وَسَأَذْكُرُ مِنْ أَخْلَاقِهِ الْجَافِيَةِ، مَا إِذَا تَصَفَّحَ[٢] نَفْسَهُ مَنْ خَرَجَ عَنِ الْأَخْلَاقِ الشَّرِيفَةِ، وَرَضِيَ لِنَفْسِهِ بِالْأَخْلَاقِ الدَّنِيئَةِ، الَّتِي لَا تَحْسُنُ بِالْعُلَمَاءِ؛ عَلِمَ أَنَّهَا فِيهِ، وَشَهِدَ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِذَلِكَ، لَا يُمْكِنُهُ دَفْعُ ذَلِكَ، وَاللهُ الْعَظِيمُ مُطَّلِعٌ عَلَىٰ سِرِّهِ.

فَمِنْ صِفَتِهِ:

• أَنْ يَكُونَ أَكْثَرُ هَمِّهِ مَعَاشَهُ مِنْ حَيْثُ نُهِيَ عَنْهُ، مَخَافَةَ الْفَقْرِ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ، لَا يَقْنَعُ بِمَا أُعْطِيَ، مُسْتَبْطِئًا لِمَا لَمْ يَجْرِ بِهِ الْمَقْدُورُ أَنْ يَأْتِيَ.

• الشُّغْلُ بالدنيا دَائِمٌ[٣] فِي قَلْبِهِ، وَذِكْرُ الْآخِرَةِ خَطَرَاتٌ.

• يَطْلُبُ الدُّنْيَا: بِالتَّعَبِ، وَالْحِرْصِ، وَالنَّصَبِ، وَيَطْلُبُ الْآخِرَةَ بِالتَّسْوِيفِ وَالْمُنَىٰ.

• يَذْكُرُ الرَّجَاءَ عِنْدَ الذُّنُوبِ، فَتَطِيبُ[١] نَفْسُهُ بِالْمُقَامِ عَلَيْهَا، وَيَذْكُرُ الْعَجْزَ عِنْدَ الطَّاعَةِ حِينَ هَمَّ بِهَا فَيَنْزَجِرُ عَنْهَا، وَيَظُنُّ أَنَّهُ مُحْسِنٌ بِاللهِ الظَّنَّ، وَأَنَّهُ يَثِقُ بِهِ[٢] فِي الْعَفْوِ، وَلَمْ يُضْمَنْ لَهُ، وَلَا يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ، وَيَثِقُ بِهِ فِي الرِّزْقِ الَّذِي ضُمِنَ لَهُ.

• يَضْطَرِبُ قَلْبُهُ، وَيَشْتَغِلُ بِطَلَبِ رِزْقِهِ، وَقَدْ أُمِرَ بِالطُّمَأْنِينَةِ(٣) فِيهِ إِلَىٰ رَبِّهِ، وَيَطْمَئِنُّ وَيَسْكُنُ عِنْدَ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَقَدْ نُدِبَ إِلَىٰ أَنْ يَخَافَهُ، وَلَا يَسْكُنُ عِنْدَ الْحَذَرِ وَالْخَوْفِ مِنْ أَجَلِ رِزْقِهِ، وَقَدْ ضُمِنَ لَهُ، وَأَمَّنَهُ اللهُ مِنْ أَنْ يَفُوتَهُ مَا قُدِّرَ لَهُ، فَمَا أَمَّنَهُ اللهُ مِنْهُ يَخَافُهُ، وَمَا خَوَّفَهُ اللهُ مِنْهُ أَمِنَهُ.

• يَفْرَحُ بِمَا آتَاهُ اللهُ مِنَ الدُّنْيَا، حَتَّىٰ يَنْسَىٰ بِفَرَحِهِ شُكْرَ رَبِّهِ، وَيَغْتَمُّ بِالْمَصَائِبِ حَتَّىٰ تَشْغَلَهُ عَنِ الرِّضَىٰ عَنْ رَبِّهِ.

• إِنْ نَابَتْهُ نَائِبَةٌ سَبَقَ إِلَىٰ قَلْبِهِ الْفَزَعُ إِلَىٰ الْعِبَادِ وَالِاسْتِعَانَةُ بِهِمْ.

• يَطْلُبُ مِنْ رَبِّهِ الْفَرَجَ إِذَا [يَئِسَ](٤) مِنَ الْفَرَجِ مِنْ قِبَلِ الْخَلْقِ، فَإِنْ طَمِعَ فِي دُنُوٍّ إِلَىٰ مَخْلُوقٍ نَسِيَ مَوْلَاهُ.

• مَنِ اصْطَنَعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفًا غَلَبَ عَلَىٰ قَلْبِهِ حُبُّ الْمُصْطَنِعِ إِلَيْهِ، وَشُغِلَ قَلْبُهُ بِذِكْرِهِ، وَأَلْزَمَ قَلْبَهُ حُبَّهُ وَشُكْرَهُ، نَاسٍ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ رَبَّهُ.

• يَثْقُلُ عَلَيْهِ بَذْلُ الْقَلِيلِ مِنْ مَالِهِ لِمَنْ لَا يُكَافِئُ عَلَيْهِ إِلَّا رَبَّهُ، وَيَخِفُّ عَلَيْهِ بَذْلُ الْكَثِيرِ لِمَنْ يُكَافِئُهُ(٥)، أَوْ يُؤَمِّلُ مِنْهُ مَنْفَعَةً فِي دُنْيَاهُ.

• يَأْثَمُ فِيمَنْ أَحَبَّ فَيَمْدَحُهُ بِالْبَاطِلِ، وَيَعْصِي اللهَ فِيمَنْ يُبْغِضُهُ فَيَذُمُّهُ بِالْبَاطِلِ.

- يَقْطَعُ بِالظُّنُونِ، وَيُحَقِّقُ بِالتُّهَمِ.
- يَكْرَهُ ظُلْمَ مَنْ يَنْتَصِرُ لِنَفْسِهِ، أَوْ يَنْصُرُهُ مِنَ الْعِبَادِ غَيْرُهُ، وَيَخِفُّ عَلَيْهِ ظُلْمُ مَنْ لَا نَاصِرَ لَهُ سِوَىٰ رَبِّهِ.
- يَثْقُلُ عَلَيْهِ الذِّكْرُ، وَيَخِفُّ عَلَيْهِ فُضُولَ الْقَوْلِ.
- إِنْ كَانَ فِي رَخَاءٍ: فَرِحَ، وَلَهَا، [وَأَسَاءَ][1]، وَطَغَىٰ، وَبَغَىٰ.
- وَإِنْ زَالَ عَنْهُ الرَّخَاءُ: شَغَلَ قَلْبَهُ عَنِ الْوَاجِبَاتِ، وَظَنَّ [أَنَّهُ لَا يَفْرَحُ وَلَا يَمْرَحُ][2] أَبَدًا.
- إِنْ مَرِضَ سَوَّفَ التَّوْبَةَ، وَأَظْهَرَ النَّدَامَةَ، وَعَاهَدَ أَنْ لَا يَعُودَ[3]، وَإِنْ وَجَدَ الرَّاحَةَ نَقَضَ الْعَهْدَ، وَرَجَعَ مِنْ قَرِيبٍ.
- وَإِنْ خَافَ الْخَلْقَ، وَرَجَا دُنْيَاهُمْ أَرْضَاهُمْ بِمَا يَكْرَهُ مَوْلَاهُ، وَإِنْ خَافَ اللهَ كَمَا يَزْعُمُ، لَمْ يُرْضِهِ بِمَا يَكْرَهُ الْخَلْقُ.
- يَسْتَعِيذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّ من هو فوقه من العباد، ولا يعيذ من هو دونه من الخلق من شر نَفْسِهِ، [شِفَاؤُهُ][4] فِي إِمْضَاءِ غَيْظِهِ وَإِنْ كَانَ مِمَّا يُسْخِطُ رَبَّهُ.

• يَنْظُرُ إِلَىٰ مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي الرِّزْقِ، فَيَسْتَقِلُّ نِعَمَ رَبِّهِ، فَلَا يَشْكُرُهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَىٰ مَنْ هُوَ دُونَهُ فِي الْعَيْشِ فَيَشْكُرُ النِّعْمَةَ.

• يَتَشَاغَلُ بِالْفُضُولِ عَنِ الصَّلَوَاتِ إِلَىٰ آخِرِ أَوْقَاتِهَا، فَإِنْ صَلَّىٰ صَلَّىٰ لَاهِيًا عَنْ صَلَاتِهِ، غَيْرَ مُعَظِّمٍ لِمَوْلَاهُ إِذَا قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

• إِنْ أَطَالَ إِمَامُهُ الصَّلَاةَ مَلَّهَا [وَذَمَّهُ][1]، وَإِنْ خَفَّفَهَا اغْتَنَمَ خِفَّتَهُ وَحَمِدَهُ.

• قَلِيلُ الدُّعَاءِ مَا لَمْ تَنْزِلْ بِهِ الشَّدَائِدُ وَالْعِلَلُ، فَإِنْ دَعَا فَبِقَلْبٍ مَشْغُولٍ بِالدُّنْيَا.

قال محمد بن الحسين: هَذِهِ الْأَخْلَاقُ وَمَا يُشْبِهُهَا تَغْلِبُ عَلَىٰ قَلْبِ مَنْ لَمْ يَنْتَفِعْ بِالْعِلْمِ، فَبَيْنَا هُوَ مُقَارِنٌ لِهَذِهِ الْأَخْلَاقِ، إِذْ رَغِبَتْ نَفْسُهُ فِي حُبِّ الشَّرَفِ وَالْمَنْزِلَةِ، وَأَحَبَّ مُجَالَسَةَ الْمُلُوكِ وَأَبْنَاءِ الدُّنْيَا، فَأَحَبَّ أَنْ يُشَارِكَهُمْ فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنْ رَخِي[2] عَيْشِهِمْ، مِنْ مَنْزِلٍ بَهِيٍّ، وَمَرْكَبٍ هَنِيٍّ، وَخَادِمٍ سَرِيٍّ، وَلِبَاسٍ لَيِّنٍ، وَفِرَاشٍ نَاعِمٍ، وَطَعَامٍ شَهِيٍّ.

وَأَحَبَّ أَنْ يُغْشَىٰ بَابُهُ، وَيُسْمَعَ قَوْلُهُ، وَيُطَاعَ أَمْرُهُ، فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الْقَضَاءِ فَطَلَبَهُ، وَلَمْ يُمَكِّنْهُ إِلَّا بِبَذْلِ دِينِهِ، فَتَذَلَّلَ لِلْمُلُوكِ وَلِأَتْبَاعِهِمْ، وَخَدَمَهُمْ بِنَفْسِهِ، [وَأَكْرَمَهُمْ][3] بِمَالِهِ، وَسَكَتَ عَنْ قَبِيحِ مَا ظَهَرَ مِنْ مَنَاكِيرِهِمْ عَلَىٰ أَبْوَابِهِمْ، وَفِي مَنَازِلِهِمْ وَقَوْلِهِمْ وَفِعْلِهِمْ، ثُمَّ زَيَّنَ لَهُمْ كَثِيرًا مِنْ قَبِيحِ فِعَالِهِمْ بِتَأْوِيلِهِ الْخَطَأَ، لِيَحْسُنَ مَوْقِعُهُ عِنْدَهُمْ.

فَلَمَّا فَعَلَ هَذَا مُدَّةً طَوِيلَةً، وَاسْتَحْكَمَ فِيهِ الْفَسَادُ، وَلَّوهُ الْقَضَاءَ، فَذَبَحُوهُ بِغَيْرِ سِكِّينٍ.

فَصَارَتْ لَهُمْ عَلَيْهِ مِنَّةٌ عَظِيمَةٌ، وَوَجَبَ عَلَيْهِ شُكْرُهُمْ، فَأَلْزَمَ نَفْسَهُ ذَلِكَ لِئَلَّا يُغْضِبَهُمْ عَلَيْهِ فَيَعْزِلُوهُ عَنِ الْقَضَاءِ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَىٰ غَضَبِ مَوْلَاهُ الْكَرِيمِ، فَاقْتَطَعَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ، وَالْأَرَامِلِ، وَالْفُقَرَاءِ، وَالْمَسَاكِينِ، وَأَمْوَالَ الْوُقُوفِ عَلَىٰ الْمُجَاهِدِينَ، وَأَهْلِ الشَّرَفِ [بِالْحَرَمَيْنِ، وَأَمْوَالًا] (١) يَعُودُ نَفْعُهَا عَلَىٰ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، فَأَرْضَىٰ بِهَا الْكَاتِبَ، وَالْحَاجِبَ، وَالْخَادِمَ، فَأَكَلَ الْحَرَامَ، وَأَطْعَمَ الْحَرَامَ، وَكَثُرَ الدَّاعِي عَلَيْهِ.

فَالْوَيْلُ لِمَنْ أَوْرَثَهُ عِلْمُهُ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ.

هَذَا الْعَالِمُ الَّذِي اسْتَعَاذَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَمَرَ أَنْ يُسْتَعَاذَ مِنْهُ، هَذَا الْعَالِمُ الَّذِي قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَالِمٌ لَمْ يَنْفَعْهُ عِلْمُهُ**» (٢).

١١١- ثَنَا الْفِرْيَابِيُّ، ثنا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، ثنا اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، عَنْ أَخِيهِ عَبَّادِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ، سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْأَرْبَعِ: مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ**» (٣).